مجلة المنتدى الأكاديمي (العلوم الإنسانية)
المجلد (9) العدد (1) 2025
ISSN (Print): 2710-446x , ISSN (Online): 2710-4478
تاريخ التقديم: 2024/10/18 ، تاريخ إرسال التعديلات: 2025/01/02، تاريخ النشر: 2024/01/15

إبدال الهمزة من حروف العلة بين المتقدمين والدكتور عبدالصبور شاهين دراسة تحليلية

نورالدين إمحمد محمد سهل
قسم اللغة العربية، كلية اللغات، جامعة المرقب
nesahl@elmergib.edu.ly

سهيل إبراهيم أحمد أبوغالية
قسم اللغة العربية، كلية التربية القره بوللي، جامعة المرقب
siabogalia@elmergib.edu.ly

المستخلص

يعد الإبدال من سنن العرب في كلامهم، وهو تغيير حرف بحرف آخر لعلاقة بينهما في المخرج، أو في الصفة، فيزال المبدل منه، ويحل مكانه المبدل، وهو يشبه الإعلال إلا أن الإبدال يكون بين صوت صامت وآخر صائت، وقد يكون بين صوتين صامتين، أما الإعلال فإنه لا يكون إلا بين صائتين.

ويهتم هذا البحث بدراسة إبدال صوت (الهمزة) من أحرف العلة (الألف، والواو، والياء)، وهو موضوع نال اهتمام اللغويين قديماً وحديثاً، إذ ظهر ارتباط الهمزة بأحرف العلة في الدرس القديم، وكان ذلك بسبب اشتراك الهمزة مع الألف في رمز واحد هو (الألف)، الأمر الذي جعل النحاة يجعلونها مع أحرف العلة في باب واحد، كما جعلهم يعدون الهمزة تارة حرف علة، وتارة أخرى شبيهة بالعلة، وأدى ذلك إلى جواز إبدالها من هذه الأحرف الثلاث، وأما الدكتور عبدالصبور شاهين(ت2012هم) و المحدثون فقد عدّوا الإبدال من أشكال المماثلة، و المماثلة بكل أشكالها كي تتم لابد من تجانس أو تقارب بين الصوتين، وهذا ما لم يتوفر بين صوت الهمزة وأحرف العلة، فلا تقارب في المخرج، ولا تجانس في الصفات.

الكلمات المفتاحية: إبدال، الهمزة، أحرف العلة، عبدالصبور شاهين

المقدمة

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على من بعثه ربُه رحمة للأمم، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أمّا بعد:

فيعد الإبدال من القضايا الصوتية الصرفية التي نالت اهتمام علماء اللغة القدامى والمحدثين، حيث ظهر الاهتمام بهذه القضية عند الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت175هـ)، وذلك من خلال معجمه العين، الذي تكلم فيه عن خفة حروف الإبدال، والحروف الذلقية والشفوية، وهذا الأمر يؤدي إلى امتزاجها

بغيرها في كلام العرب، ثم جاء بعده تلميذه سيبويه(ت180هـ) الذي ضبط قواعد هذه القضية، وبيّن معالمها من خلال مصنفه الشهير الكتاب.

ويهتم هذا البحث بدراسة إبدال صوت (الهمزة) من أصوات العلة (الألف، والواو، والياء)، وهو موضوع نال اهتمام اللغويين قديما وحديثا، إذ ظهر ارتباط الهمزة بأحرف العلة في الدرس القديم، وكان ذلك بسبب اشتراك الهمزة مع الألف في رمز واحد هو (الألف)، وهذا الأمر جعل النحاة يعدونها مع أصوات العلة في باب واحد، كما جعلهم يعدونها تارة حرفا صحيحا، وتارة حرف علة مثل ألف المد وبائه و واوه، وتارة أخرى شبيهة بالعلة مثل الياء والواو اللينتين، وأدى ذلك إلى جواز إبدالها من الألف والواو والياء.

وتهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على أقوال علماء العربية في هذه القضية، وبيان العلاقة التي تربط بين الهمزة وأحرف العلة، وذلك للتعرف على الأسباب التي أدت إلى إحلال الهمزة محل هذه الأصوات، ولتحقيق هذه الغاية انتظم البحث في مقدمة، وثلاثة مباحث تتلوها خاتمة، وهي على النحو التالي :

المبحث الأول : حدّ الإبدال وحروفه.

المبحث الثاني : العلاقة بين الهمزة وأحرف العلة.

المبحث الثالث : إبدال الهمزة من أحرف العلة.

ومن خلال هذه الورقات سنتبين حقيقة إبدال الهمزة من أحرف العلة الألف والواو والياء، وسنعرض آراء علماء العربية القدامى، وموقف الدكتور عبدالصبور شاهين(ت2010م) من هذه القضية.

المبحث الأول: حدّ الإبدال وحروفه

أولاً: حدّ الإبدال

الإبدال لغةً : بِدْل الشيء وبَدَله وبَدِيله الخَلَف منه، والجمع أَبدال، تقول : تَبَدَّل الشيء، وتَبدل به واستبدله، واستبدل به كُلُّه، إذا اتخذ منه بَدَلاً، وأَبْدَل الشيءَ من الشيء وبَدّله تَخِذَه منه بدلاً وأَبدلت الشيء بغيره، والأَصل في الإبدال جعل شيء مكان شيء آخر كإبدالك من الواو تاء في تالله[1].

1- ينظر: ابن منظور، لسان العرب ، مادة (بدل)

وأمّا اصطلاحاً فقد عرّفه بعض اللغويين منهم أبي الطيب اللغوي(ت.351هـ) ، فقال: "هو إقامة حرف مكان حرف مع الإبقاء على سائر حروف الكلمة "[1]، وعرّفه أبو البقاء العكبري(ت616هـ) بقوله: هو "إقامة حرف مقام حرف آخر "[2]، وقال الشيخ خالد الأزهري(ت905هـ) معرفا الإبدال لغةً واصطلاحا: " بكسر الهمزة مصدر أبدل، وهو في الاصطلاح جعل حرف مكان حرف آخر مطلقًا، فخرج بقيد المكان العوض، فإنه قد يكون في غير مكان المعوض منه كتاء (عدة) وهمزة (ابن)، وبقيد الإطلاق القلب، فإنه مختص بحروف العلة"[3].

وقد عرض الدكتور عبد الصبور شاهين لتعريف القدامى بالنقد، فذكر أن قولهم (إقامة حرف مكان حرف) يوحي بأن عملية الإبدال إرادية، يقوم بها المتكلم متى شـــاء، وهذا لا يعبر عن التطور الصـوتي الذي يطرأ على اللغة، كما أن هذه القضـية مرتبطة بالزمن؛ لأن اللغة تتعرض للتغير والتطور عبر السـنين، وليس من حق أي إنسـان أن يبدل صـوتاً بصـوت آخر؛ بل يجب الالتزام بما ورد عن العرب، وذكر شـاهين أن التعريف المناسـب للإبدال هو: " قيام حرف مكان حرف آخر مع الإبقاء على سائر حروف الكلمة"[4].

ويعد الإبدال من لغات العرب، وهو ضرب من ضروب التخفيف في نطق بعض الأصوات، وهو ما نصّ عليه ابن فارس(ت395هـ) فقال: " من سُنَن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض: مَدَحَه ومَدَهَه ..."[5]. ولا يختص الإبدال بقبيلة دون أخرى، وإنما هو شائع تستخدمه العرب كلهم حتى قيل فيه: " قلما تجدُ حرفا إلا وقد جاء فيه البدلُ ولو نادرا"[6].

وقد حدد العلماء موضع الإبدال، والغرض منه، فأما موضعه فهو المبدل منه، وهو بهذا يخالف العوض، فإنه في غير موضع المعوض عنه، ومثل ذلك كلمة (عدة)، وأصلها: وعد، حذفت الواو من أولها، وعوض عنها بتاء التأنيث في آخر الكلمة، وأمّا الغرض منه فهو التخفيف على المتكلم عند نطق بعض الأصوات[7].

1- أبو الطيب اللغوي، الإبدال في كلام العرب، ص. 9.
2- أبو البقاء العكبري، اللباب،284/2.
3-خالد الأزهري، شرح التصريح، 689/2.
4 - عبد الصبور شاهين، أثر القراءات في الأصوات، ص 265.
5- ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة ص. 154.
6 - جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة 356/1.
7- ينظر: العكبري، اللباب، 284/2.

وذكر الدكتور عبد الصبور شاهين أن الصوتين المبدل أحدهما من الآخر يكونان على علاقة وصفية، أو مخرجية، مع ضرورة اتحاد المعنى بين الصوتين، قال الدكتور عبد الصبور شاهين: "فالصوتان المُبْدَلُ أحدهما من الآخر لا يمكن إلا أن يكونا على علاقة مخرجية ووصفية، وفي ضوء هذه العلاقة نستطيع أن نضع تعليلا لما لدينا من أمثلة حدث فيها إبدال"[1]، وإذا انتفت هذه العلاقة لم يكن هناك مجال للقول بالإبدال؛ بل يكون كل منهما أصلاً لغوياً بذاته.

ومثال ما كانت فيه بين الصوتين علاقة مخرجية ما روته المعاجم من أن: كل جريء سَبَنْدَى وسَبَنْتَى، فبين الدال والتاء وحدة في المخرج، واتفاق في صفة الشدة، واختلاف في الجهر والهمس، وهذه العلاقة تسمح بانتقال أحد الصوتين إلى الآخر على ألسنة الناطقين باللغة، وينبغي الإشارة هنا إلى ضرورة اتحاد المعنى بين اللفظين المُبدَلينِ اتحادا كاملا؛ لأن اختلافه يدل على انعدام الصلة بينهما غالبا، وعلى استقلال كل منهما بوضعه.

ثانياً : أحرف البدل

من المعلوم أن كل ظاهرة لغوية لها كلماتها التي باستعمالها تظهر بها هذه الظاهرة وتبرز عند المتكلمين، وظاهرة الإبدال لها حروفها التي تتغير وتتبدل في بعض الأحيان؛ ولكن هذه الحروف غير محددة بعدد قطعي؛ وذلك بسبب الخلاف الذي وقع في عددها عند اللغويين والمهتمين بهذه القضية، حيث ذكر سيبويه(ت.180هـ) أحرف البدل ، وعدّها أحد عشر حرفا، هي : الهمزة، والألف، والهاء، والجيم، والياء، والنون، والطاء، والتاء، والدال، والميم، والواو[2].

وعرض ابن عصفور(ت669هـ) لأحرف البدل، وذكر في الممتع في باب الإبدال أن حروف البدل يجمعها قولك : (أُجُدٌ طُوِيَتْ مَنهلا)[3]، ثم أضاف إليها في المقرب سبعة أصوات أخرى وهي : السين، والصاد، والزاي، والعين، والكاف، والفاء، والشين[4].

كما اختلف عدد حروف الإبدال في كتب ابن مالك (ت.672هـ) حيث جعلها في إيجاز التعريف أحد عشر حرفاً، بينما جعلها في ألفيته، وفي الكافية وفي الخلاصة تسعة أحرف جمعها في الكافية

1- عبد الصبور شاهين، أثر القراءات في الأصوات، ص. 269.

2 - ينظر: سيبويه، الكتاب، 437/4.

3- ينظر: ابن عصفور، الممتع الكبير ص.213.

4- ينظر: ابن عصفور، المقرب، 159/2.

الشافية بقوله: (هادأت مطوى)، وجمعها في الألفية وفي الخلاصة بقوله : (هدأت موطيا)، والحرفان اللذان ذكرهما في إيجاز التعريف ولم يذكرهما في الألفية وفي الكافية وفي الخلاصة هما (الجيم والنون)[1]، وأمّا الزمخشري(ت538هـ) فحصرها في خمسة عشر حرفًا عبر عنها بقوله: (استنجده يوم طال زط)[2].

وأما الدكتور عبدالصبور شاهين فقد قسم الحروف بحسب مخارجها إلى أربع مناطق هي :

1- منطقة الشفتين، ويخرج منها ثلاثة أصوات، هي : الباء، والميم، والفاء.
2- منطقة وسط الفم، وتضم ستة عشر حرفا، هي : التاء، والدال، والطاء، والنون، والضاد، والجيم، والشين، واللام، والراء، والثاء، والذال، والظاء، والسين، والزاي، والصاد، والياء.
3- منطقة ما بعد الوسط، وتشمل خمسة أصوات، هي: الواو، والكاف، والقاف، والغين، والخاء.
4- منطقة نهاية المجرى النطقي، وتضم أربع أصوات، هي : العين، والحاء، والهاء، والهمزة.

ثم جعل الدكتور عبدالصبور الإبدال ينحصر بين أصوات كل مجموعة على حدة، ولا تتداخل المجموعات ببعضها، عدا أصوات الحلق التي تقع في المجموعتين: الثالثة، والرابعة، وهي: العين، والحاء، والهاء، والهمزة، والغين، والخاء، إذ تتمتع هذه الأصوات بطبيعة خاصة في اللغة العربية[3].

المبحث الثاني: العلاقة بين الهمزة وأحرف العلة

لنتبين العلاقة التي تربط بين الهمزة وأحرف العلة يتوجب علينا أولا معرفة طبيعة الهمزة، وأصوات العلة عند علماء اللغة القدامى، والمحدثين.

أولاً : طبيعة الهمزة

عرّف علماء التراث صوت الهمزة وأطلقوا عليها اسم (النبر)، قال سيبويه في الكتاب في معرض حديثه عن الهمزة: " ... واعلم أنَّ الهمزة إنَّما فعل بها هذا من لم يخففها؛ لأنَّه بعد مخرجها؛ ولأنها نبرةٌ في الصدَّر تخرج بالاجتهاد، وهي أبعد الحروف مخرجاً، فثقل عليهم ذلك؛ لأنَّه كالتهُّوع... "[4]. وليس

1- ينظر: ابن مالك، ألفية ابن مالك، ص. 75. و إيجاز التعريف في علم التصريف،ص.178.
2- ينظر: الزمخشري، المفصل ، ص. 360.
3- ينظر : عبدالصبور شاهين، المنهج الصوتي، ص168-169.
4 - الكتاب،548/3.

النبر هو المصطلح الأول للهمزة؛ بل الألف هو الاسم القديم لهذا الصوت، وهو أول حروف الأبجدية الفينيقية (أبجد هوز) التي تطورت عنها الحروف الألفبائية.

وقد وصف العلماء القدامى الهمزة بالتهوع، وهو الصوت الذي يصدر من الإنسان عند التقيؤ، وجعلوا سبب ذلك المشقة الحاصلة عند نطقها، قال أبو البقاء العكبري : " الهمزة نبرة تخرج من أقصى الحلق، يشبه صوتها التهوع، ومن هنا شقّ النطق بها ... "[1]. كما أشار ابن سينا(ت428هـ) في رسالته إلى صعوبة نطق الهمزة فقال : " أما الهمزة فإنها تحدث من حفز قوي من الحجاب وعضل الصدر لهواء كثير ... "[2]. والظاهر من كلامهم أن الصعوبة ترجع لعدة أشياء منها بُعد المخرج، وإقفال الطريق أمام الهواء حال النطق بها.

مخرج الهمزة

يرى علماء اللغة الأقدمون أن الهمزة صوت يخرج من أقصى الحلق، ، قال الخليل بن أحمد واصفاً مخرج الهمزة: " وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة ... "[3]، وهو مذهب العلماء القدامى عدا ابن سينا، حيث ذهب في رسالته الموسومة بأسباب حدوث الحروف إلى أن الهمزة تحدث من حفز قوي من الحجاب وعضل الصدر[4].

وأما مخرجها عند المحدثين فهو الوتران الصوتيان، حيث يُقفل الوتران إقفالاً تاماً فلا يتسرب شيء من الهواء إلى الحلق، ثم ينفرج الوتران فجأة، فيسمع صوت انفجاري هو ما يعبر عنه بالهمزة[5].

وصف الهمزة

عدّ الأقدمون الهمزة من الأصوات المجهورة، وذلك لعدم جريان النفس معها، وهو مذهب سيبويه، وابن جني(ت.392هـ)، ومن سار على نهجهم، وتبعهم في ذلك علماء التجويد[6].

1- اللباب،443/2.
2- ابن سينا، أسباب حدوث الحروف ، ص.72.
3- ينظر: الخليل بن أحمد، العين، 52/1.
4 - ينظر: أسباب حدوث الحروف، ص.72.
5- ينظر : المنهج الصوتي للبنية العربية، ص.28.
6- ينظر : الكتاب،548/3. و اللباب،443/2.

أما عند المحدثين فهي ليست مجهورة، و إنما انقسموا في وصفها إلى قسمين: فمنهم من عدّها صوتا مهموسا لعدم تذبذب الوترين الصوتيين حال النطق بها، وإليه ذهب عبدالصبور شاهين، ورمضان عبد التواب(2001م)، وتمام حسان(2011م)، وبعض اللغويين[1].

وقال آخرون هي صوت لا مجهور ولا مهموس، وعللوا هذ الوصف بمخالفة وضع الوترين الصوتيين حال الجهر والهمس، فعند الجهر يتذبذب الوتران الصوتيان، وفي حال الهمس لا يتذبذب الوتران الصوتيان، أما عند النطق بصوت الهمزة فيكون وضع الوترين مخالفا لما هو عليه في حالتي الجهر والهمس، وبه قال إبراهيم أنيس(1978م)، وكمال بشر(ت2015م)، وطائفة من اللغويين[2].

ثانياً : طبيعة أحرف العلة

هي حروف لا تقبل الحركة، وعددها ثلاثة أحرف هي : الألف ، والواو ، والياء، في جميع أحوالها، وسميت هذه الحروف بهذا الاسم؛ لأنها تتعرض للتغير والتطور بصورة أكثر مما يقع لغيرها من أصوات اللغة، كما أن إبدال حروف العلة بعضها من بعض أكثر من إبدالها بغيرها، قال الأستربادي (ت686هـ): " إبدال حروف العلة بعضها من بعض أكثر، لشدة تناسبها بالوصف مع تباينها في المخارج"[3].

وعلل ابن الحاجب (ت646هـ) تسمية هذه الأحرف بحروف العلة بعلتين، أولها: إنها تعل ما تكون فيه بالتغيير فتكون بمنزلة حروف الجر التي تضاف إلى أثرها، والعلة الثانية: إن هذه الحروف معتلة في أنفسها، وهي بمنزلة حروف الاستعلاء، إذ تضاف إلى صفة من صفاتها[4].

وقد حظيت هذه الأصوات بعناية كبيرة من اللغويين القدامى و المحدثين، سواء أمن الناحية الصوتية، أم من الناحية الصرفية، حيث أدرك علماء اللغة القدامى طبيعة هذه الأصوات واختلافها عن بقية الحروف، وذلك لكثرة ما يصيبها من تغيرات و تبدلات، فهذا سيبويه ميّز الألف و الواو و الياء عن غيرها من حروف اللغة، و أطلق عليها مصطلح (أصوات اللين) وذلك لاتساع مخرجها لهواء الصوت أكثر من غيرها، قال سيبويه :" وهذه الحروف – يعني الألف و الواو و الياء – غير مهموسات، وهي

1 – ينظر : المنهج الصوتي للبنية العربية، ص.28. وتمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص.97. ورمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص.56.

2– ينظر : إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية،ص.77. و كمال بشر، علم اللغة العام الأصوات العربية، ص.112.

3– الاستربادي ،شرح شافية ابن الحاجب، 161/4.

4 – ينظر : ابن الحاجب، أمالي ابن الحاجب، 702/2.

حروف لين ومد، ومخارجها متسعة لهواء الصوت، وليس شيء من الحروف أوسع مخارج منها، ولا أمد للصوت"[1].

ويبدو أن اهتمام اللغويين بأصوات العلة مرده إلى أهمية هذه الأحرف ووظيفتها في النظام اللغوي، إذ تؤدي حروف العلة وظيفة كبيرة في اللغة العربية، فهي تعدُّ أساسًا لقوة الأسماع، ومركزاً للمقطع العربي, وهي من العناصر الضرورية في بناء نظامي النبر في الصرف، والتنغيم في النحو، كما لها أهمية كبيرة عند العروضيين فعنوا برصدها في موازين الشعر، وعدّوها أهم من الحروف الصحيحة، وللدكتور تمام حسان كلام نفيس في أهمية هذه الأحرف ووظيفتها في اللغة، إذ يقول: " إن حروف العلة تؤدي مهمة جليلة في اللغة العربية؛ حيث تعتبر أساسًا لقوة الأسماع (Sonority) في هذه اللغة الراسخة القدم في تاريخ المشافهة، وهذه الخاصية بعينها هي التي لاحظ الدكتور طه حسين بحق أنها طابع الأدب العربي، وسماها الطابع الإنشادي في الأدب"[2].

مخارج أحرف العلة

اختلف العلماء القدامى والمحدثون في مخارج أصوات العلة، حيث عدّ العلماء القدامى مخرج الألف من أقصى الحلق، قال ابن جني :" واعلم أن مخارج هذه الحروف ستة عشر: ثلاثة منها في الحلق فأولها من أسفله وأقصاه، مخرج الهمزة والألف والهاء "[3].

وأما علماء اللغة المحدثون فعدوه حركة طويلة، وقد بيّن الدكتور عبدالصبور كيفية نطقه بأن يبقى اللسان مستوياً في الفم، مع ارتفاع قليل لمؤخرته، بحيث يخرج الهواء من الرئتين إلى الخارج دون احتكاك مع اهتزاز الأوتار الصوتية، وإطالة زمن مرور الهواء في الفم[4].

وعدّ المتقدمون مخرج الواو من بين الشفتين، في حين أن مخرجها عند علماء اللغة المحدثين من أقصى اللسان حين يقترب من أقصى الحنك، وعند النطق بها تستدير الشفتان بشكل كامل، قال الدكتور عبدالصبور ردا على ما ذكره سيبويه حول مخرج الواو: " ...ثم نجيئ إلى وصف سيبويه لمخرج الواو

1- سيبويه، الكتاب، 176/4.

2- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص.71.

3 - ابن جني، سر صناعة الإعراب، 60/1.

4- ينظر : عبدالصبور شاهين، القراءات القرآنية، ص. 40.

لنسجل وهما وقع فيه، فقد قصر مخرجها على الشفتين والحقيقة أن مخرجها من أقصى اللسان حين يقترب من أقصى الحنك، غير أن الشفتين حين النطق بها تستديران"[1].

وأمّا مخرج الياء عند علماء التراث فمن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى، وهي تشترك في هذا المخرج مع صوتي : الجيم والشين، قال سيبويه: " ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى، مخرج الجيم والشين والياء"[2]، وهو قول أيده الدكتور عبدالصبور، إذ قال: "أمّا وصفه – يعني سيبويه – لصوت الياء فمنطبق كثيرا على نتائج التجارب الحديثة"[3].

وصف أصوات العلة

وصف علماء اللغة القدامى الهمزة أصوات العلة بالجهر، قال سيبويه :" فأما المجهورة فالهمزة، والألف ... والياء ... والواو"[4]، ولو صح اشتراك الهمزة مع الألف في المخرج، ومع الألف والواو، والياء في الصفة؛ لكان ذلك كافيا للحكم بوجود خواص صوتية مشتركة بينهما تسوغ إبدال الهمزة من الألف والواو والياء، إلا أن الدراسات الحديثة أثبتت تباين الهمزة وأصوات العلة في المخرج والصفة، حيث وصف المحدثون أصوات العلة بالجهر، قال الدكتور عبدالصبور شاهين: " ولا مشاحة في أن الواو والياء صوتان مجهوران"[5].

كما وصف المحدثون صوتي الياء والواو بالأصوات الانتقالية، أي أنها تتكون في موضع من مواضع أصوات اللين، ثم تنتقل بسرعة إلى موضع آخر، فهما يعدان صوتا لين مركبين[6].

العلاقة بين الهمزة وأصوات العلة

عدّ العلماء القدامى الهمزة مع أصوات العلة: الألف، والواو، والياء في باب واحد، فالخليل بن أحمد، وزع الحروف على مخارجها، ونسب كل مجموعة إلى مخرج معين كالحلق مثلا، ثم رتب الحروف

1- القراءات القرآنية، ص. 40
2- الكتاب،433/4
3- ينظر: القراءات القرآنية، ص40.
4- الكتاب، 434/4
5- القراءات القرآنية، ص. 40
6- ينظر : أثر القراءات القرآنية، ص.330

في مدرج المخارج، ثم أتى بخمسة وعشرين حرفاً في سلسلة واحدة وسماها الحروف الصحاح، وأتبعها بمجموعة أخرى فيها حروف المد، ومعها الهمزة، وسماها الحروف الهوائية.

وهذا المسلك نفسه سلكه ابن السراج (ت316هـ) إذ عدّ الهمزة من حروف العلة، وصرّح بذلك فقال: "حروف العلة أربعة الواو والياء والهمزة والألف"[1] وهو بهذا يقرر أن الهمزة قابلة للتغير والتحول شأنها في هذا شأن أحرف العلة.

ولعل السبب الذي دعاهم إلى جعل الهمزة مع أصوات العلة في باب واحد هو اشتراك الهمزة مع الألف في رمز واحد هو الألف، حيث كانت في أصل الخط العربي هي رمز الهمزة في القديم، وفي هذا يقول ابن جني(ت392هـ): "اعلم أن الألف التي في أول حروف المعجم هي صورة الهمزة"[2]، ولابن جني نص آخر يدل على أن الألف هي صورة الهمزة القديم، إذ يقول: "كل حرف سميته ففي أول حروف تسميته لفظه بعينه، ألا ترى أنك إذا قلت: جيم، فأول حروف الحرف (جيم) ... وكذلك إذا قلت ألف، فأول الحروف التي نطقت بها همزة، فهذه دلالة أخرى غريبة، على كون صورة الهمزة مع التحقيق ألفا"[3].

وأكد ابن عصفور قول ابن جني أن الألف هو رمز الهمزة، فقال: "... لفظ الحرف المُسمّى بذلك الاسم، نحو: جيم ودال وياء وأمثال ذلك، فالألف اسم للهمزة، لوجود الهمزة في أوَّله"[4].

وظل هذا الازدواج الوظيفي في رمز الألف حتى جاء الخليل بن أحمد في منتصف القرن الثاني ووضع رمزا خاصا للهمزة وهو المعروف اليوم بالعين الصغيرة، وعلى الرغم من تفريق القدامى بين الهمزة والألف في النطق ثم في الكتابة، إلا أنهم لم يستطيعوا الفكاك من ارتباط الهمزة بالألف، ويظهر ذلك جليا في اضطراب حديثهم عن المسائل المتعلقة بالهمزة، فهم يجعلونها تارة حرف علة، وتارة أخرى شبيهة بالعلة[5].

1- ابن السراج، الأصول في النحو،311/3.
2- سر صناعة الإعراب،55/1.
3- المرجع السابق، 56/1.
4- الممتع الكبير، ص422.
5 - ينظر : رمضان عبدالتواب، مشكلة الهمزة العربية، ص.12. والمنهج الصوتي للبنية العربية، ص171.

وقد مضى علماء التراث إلى القول باتحاد صوتي الهمزة، والألف في المخرج، قال سيبويه: "فللحلق منها ثلاثة فأقصاها مخرجاً: الهمزة والهاء والألف"[1]، وأكد ذلك ابن جني فقال: "واعلم أن مخارج هذه الحروف ستة عشر: ثلاثة منها في الحلق، فأولها من أسفله وأقصاه، مخرج الهمزة والألف والهاء"[2]، وزاد اتحاد الصوتين عند القدامى عندما وصفوا كلا الصوتين بالجهر، كما تشترك الهمزة مع الواو والياء في هذه الصفة.

يتضح من أقوال علماء اللغة القدامى وجود علاقة صوتية قوية تربط الهمزة بأحرف العلة، فالهمزة اشتركت مع الألف في رمز واحد هو الألف، ثم جمعوا بينهما في مخرج واحد هو أقصى الحلق، وزادوا من ارتباط الهمزة بأحرف العلة بأن جعلوا الأصوات الأربعة مشتركة في صفة واحدة هي الجهر، وهذا كله دفعهم للقول بإبدال الهمزة من الألف والواو والياء.

والحقيقة أن قول القدامى بوجود علاقة صوتية بين الهمزة من جانب، وأحرف العلة من جانب آخر قد جانبه الصواب، فعلماء اللغة المحدثون أثبتت أبحاثهم عدم وجود علاقة صوتية بين الهمزة وأصوات العلة، بل بينهما تعارض تام، فهما يختلفان في المخرج، وفي الصفات، قال الدكتور عبدالصبور شاهين: "نستطيع أن نقرر مطمئنين أنه لا علاقة صوتية مطلقا بين الهمزة وبين أصوات المد والعلة، فكل ما نعرفه عن هذه المسألة يوحي بالتباعد الذي ينفي إمكان الإبدال"[3]، ويظهر من هذا النص أن الدكتور عبدالصبور شاهين لا يرى بوقوع الإبدال بين صوت (الهمزة)، وبين أصوات العلة (الألف، والواو، والياء)، وهذا ما سنقف على حقيقته في المبحث التالي.

المبحث الثالث: إبدال الهمزة من أحرف العلة

ذكر المتقدمون أن الهمزة تُبدل من أحرف العلة: الألف، والواو، والياء، وفيما يلي تفصيل ذلك:

أولاً: إبدال الهمزة من الألف

ذكر علماء التراث أن الهمزة تُبدل من الألف في ثلاثة مواضع هي:

أ-إذا كانت الألف للتأنيث، ووقعت بعد ألف المد كما في كلمة (صحراء) وجب إبدالها همزة، إذ التقى ألفان وهو أمر ممتنع في العربية، فوجب الفرار من اجتماعهما معا، فأُبدلت الألف الثانية همزةً لقرب

1- الكتاب،433/4.

2- سر صناعة الإعراب،60/1.

3- المنهج الصوتي، ص172.

مخرج الهمزة من الألف، قال ابن جني: "اطرد عنهم قلب ألف التأنيث همزة، وذلك نحو: حمراء وصفراء وصحراء ... والقول في ذلك: إن الهمزة في صحراء وبابه إنما هي بدل من ألف التأنيث ..."[1]، ويرى ابن جني وجوب هذا الإبدال، وعلل ذلك بعدم جواز حذف إحداهما، فالألف الأولى لو حذفت لانفردت الألف الثانية، والعرب بنوا الكلمة على اجتماع ألفين فيها، وأما الألف الثانية فهي علامة للتأنيث، ولو حذفت لم يبقى للتأنيث علامة يعرف بها.

وما ذكره ابن جني هو مذهب علماء التراث، ومنهم ابن عصفور الذي قال في الممتع: "ومن قبيل ما أُبدلت الهمزة فيه من الألف باطِّراد إبدالُهم الهمزة من ألف التأنيث، في نحو: صَحراء وحَمراءَ وأشباههما، الهمزة في جميع هذا مبدلةٌ من ألف التأنيث"[2].

والحقيقة أن تعليل القدامى لهذا الإبدال فيه نظر، فقلب الهمزة ألفا غير مقبول صوتياً؛ لأن الهمزة صوت مختلف بخصائصه الصوتية عن حركة طويلة هي الألف، والقول بقرب مخرج الهمزة من الألف غير مقبول، وكذلك القول باجتماع ألفين، لأن الألف حركة وليست صوتًا صامتاً يمكن أن يلتقي بغيره ساكناً، ولذلك استحال أن تدغم الألف في نفسها أو في غيرها؛ لأن الإدغام من خصائص الأصوات الصامتة لا الحركات، وما نشهده من تحليل عند القدامى هو قول نظري علته عَدُّ الألف حرفاً كغيره من الحروف.

ويرجع التفسير الصوتي لهذه الحالة إلى القاعدة اللغوية التي قررها علماء اللغة وهي: (أن اللغة لا تبدأ بساكن ولا تقف على متحركة)، وهذا يدل أن العربية تكره الوقف على مقطع مفتوح، وكلمة (صحراء، وحمراء) وما شابهها تنتهي بحركة، وهذا دعاهم إلى إقفال المقطع بوسيلة ما، فقام المتكلم بإحلال الهمزة محل الألف، ويرى شاهين أن هذا ليس من قبيل الإبدال؛ بل من أجل تصحيح نهاية المقطع، وتقوية النبر الطولي في الكلمة[3].

ب–إذا وقعت الألف قبل الحرف المشدد، فمن العرب من يُبدلها همزة، وذلك كما في كلمة (دابّة)، وعلة هذا الإبدال عند القدامى أن الألف ساكنة وبعدها حرف ساكن، فحُرِكت الألف لاجتماع الساكنين، ثم أُبدلت الألف همزة.

1– سر صناعة الإعراب، 98/1.

2– الممتع الكبير في التصريف، ص. 219.

3– ينظر: القراءات القرآنية، ص.81. وص.87.

وذكر أبو الفتح عثمان بن جني أن التابعي أيوبَ السِّختيانيِّ(ت131هـ) كان يقرأ قوله تعالى ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ الفَاتِحَة الآية 7، بهمز الألف، وذلك أنه كره اجتماع الساكنين: الألف واللام الأولى، فحرك الألف لالتقاء الساكنين، ثم قلبت الألف همزة، وعلل ابن جني ذلك بأن الألف حرف ضعيف واسع المخرج، لا يتحمل الحركة [1]، واعتبر شارح الشافية إبدال الألف همزة في مثل ذلك من الشواذ فقال: " وأما إبدال الهمزة من الألف في (دأبّة) و(شأبّة) ... فشاذ ضعيف، لأنه يزيد ثقلا"[2].

ويرى الدكتور عبدالصبور عدم صحة هذا التفسير، وذكر أن الذي دعا العرب لقلب الهمزة ألفا هنا هو كراهية الاحتفاظ بمصوت طويل، أو مزدوج قبل صامت مضعف في المقطع المقفل، وللهرب من المصوت الطويل لجأت العرب إلى تقسيم المصوت الطويل إلى مصوتين مفصولين بهمزة، واستدل شاهين على صحة تفسيره بما رواه عن اللغوي الألماني هنري فلش أن العربية لا تحتمل وجود مصوت طويل أو مزدوج في المقطع المقفل، وأن اللغة حلّت هذه الكراهية بأحد أمرين: إمّا باختصار المصوت الطويل، أو بإلغاء أحد عنصري المزدوج[3].

ج– تُبدل ألف التأنيث همزة عند الوقف عليها، كما في قولك : هذه حُبلأ ، أي حبلى. وقد حكى العكبري هذا عن سيبويه، وقال شارحاً لقول سيبويه : "فكأنّه أراد – يقصد سيبويه –أن يقف على السّاكن المتحرك في الوصل فعدل إلى ما يتصوّر فيه ذلك وهي الهمزة لقربها منها"[4].

د– وتُبدل الهمزة من ألف التنوين كما في قولك : رأيت رجلأ، أي : رأيت رجلا وذكر ابن جني أن الهمزة في قولنا : رأيت رجلأ ، بدل من الألف التي هي عوض من التنوين في الوقف، ولا ينبغي أن تحمل على أنها بدل من النون[5]، وعدَّ ابن عصفور ذلك من الإبدال المطرد[6].

وأما من منظور علم الأصوات الحديث فتفسير القدامى قلب الألف همزة في الموضعين (ج – د) تفسير لا تؤيده نتائج علم الأصوات الحديث، إذ لا توجد علاقة صوتية مطلقاً بين الهمزة والحركة الطويلة الألف؛ بل بينهما تعارض تام من حيث طبيعة الهمزة من جانب، وطبيعة الألف من جانب آخر،

1– سر صناعة الإعراب،86/1.

2– الإستراباذي ، شرح شافية ابن الحاجب، 856/2–857

3– ينظر : عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية، ص.56–57.

4 – اللباب،288/2.

5– سر صناعة الإعراب، 88/1.

6– ينظر: الممتع الكبير في التصريف، ص.217.

فالهمزة صوت صامت يخرج من الحنجرة ذاتها، لانغلاق الوترين الصوتيين تماماً ثم انفتاحهما في صورة انفجار، وهي صوت صامت لا صائت، والألف (حركة طويلة) من الأصوات الصائتة.

والتعليل الصوتي المناسب لإحلال الهمزة محل الألف يعود إلى الحاجة لإقفال المقطع المفتوح الذي تكره العرب الوقوف عليه، ففروا من ذلك إلى الهمز، وذلك لمجرد الوقف لا الإبدال، وهناك أمر آخر دعاهم إلى إحلال الهمزة محل الحركة الطويلة، وهو أن المتكلم شعر بضرورة تقوية النبر الطولي في الكلمة فقواه بالهمزة[1].

وبناء على ما تقدم من حقائق صوتية قرر الدكتور عبدالصبور عدم وجود إبدال بين الهمزة من جانب، وبين الحركة الطويلة (الألف) من جانب آخر، وأن الذي حدث يرجع إلى الحاجة إلى تصحيح المقطع، وإلى تقوية النبر الطولي في الكلمة بالهمزة.

ثانياً : إبدال الهمزة من الواو

ذكر العلماء القدامى أن الهمزة أبدلت من الواو في خمسة مواضع هي :

أ- إذا جاءت الواو أولاً، أو وسطا، وكانت مضمومة ضما لازماً أُبدلت همزة، كما في كلمة (وُعد) تصبح بعد الإبدال (أُوعد).

وعلل سيبويه ذلك بأن الواو مقدرة بضمتين، فإذا كانت مضمومة كان ذلك بمنزلة ثلاث ضمات، وكل واحدة منهن ثقيلة، فهُرِب منها إلى ما لا يُقدر بضمتين وهو الهمزة، و قد أُبدلت الواو بالهمزة دون غيرها من الأصوات؛ لأن الهمزة نظيرة الواو في المخرج، فالهمزة من أقصى الحلق، والواو من آخر الفم، وذكر سيبويه في باب ما كانت الواو فيه أولا وكانت فاء أن الواو إذا كانت مضمومة فالمتكلم مخير بين تركتها على حالها، وبين إبدالها همزة، وساق سيبويه لذلك أمثلة عديدة، منها قولهم في ولد: ألد، وذكر أن العرب تكره الواو التي تصاحبها ضمة كما تكره الواوين المتتاليتين ففروا منهما بهمز إحداهما وذلك كما في نحو: قؤولٍ ومؤونة[2].

1 – ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية: 172– 173 ، والقراءات القرآنية ، ص. 77–78.

2– ينظر : الكتاب، 331/4.

ووافق ابن جني سيبويه فقال: "وأما إبدال الهمزة عن الياء والواو، فعلى ضربين، تبدل الهمزة منهما وهما أصلان، وتبدل منهما وهما زائدتان، الأولى: نحو قولك في وجوه: أجوه، وفي وعد: أعد، وفي وقتت أقتت، وكذلك كل واو انضمت ضما لازما، فهمزها جائز..."[1].

ب- إن كانت الواو مكسورة، نحو كلمة (وِعَاء)، فنُقل عن بعض العرب إبدالها همزة، و حجة من أبدلها همزة أنّ طبيعةَ الواو الضم، وكسرها مخالف لطبيعتها فكأن الواو خالطتها الياء وذلك شاق على اللسان، فعدل عن الياء إلى الهمزة، قال سيبويه: "ولكن ناساً كثيراً يجرون الواو إذا كانت مكسورة مجرى المضمومة، فيهمزون الواو المكسورة إذا كانت أولا، كرهوا الكسرة فيها، كما استثقل في ييجل وسيدٍ وأشباه ذلك، فمن ذلك قولهم: إسادةٌ و إعاءٌ"[2].

ويرى الدكتور عبدالصبور إحلال الهمزة محل الواو في الموضعين (أ – ب) ليس من قبيل الإبدال، بل هو من قبيل العوض، وعلة إحلال الهمزة محل الواو ترجع إلى كراهة العرب أن تبدأ الكلمة العربية بحركة، وذكر أن بعض القبائل العربية تسقط الواو لأنها تحس أنها أحد عنصري المزدوج، ففروا من الحركة الطويلة إلى الهمز، واستدل شاهين على صحة هذا التفسير بأن النبر مطرد عند هذيل وهي من القبائل الحجازية التي ظهر النبر فيها تأثرا بأهل البادية مما يلي وسط الجزيرة[3].

ج- إذا وقعت الواو عيناً في وزن (فاعل)، نحو : قائل، وجائر، جاز إبدالها همزة، وكان القياس فيها أن تُبدل ألفا؛ إلا أن ذلك يتعذر لئلا يُجمع بين ألفين[4].

ويرى الدكتور عبد الصبور شاهين أن ما حدث ليس من قبيل الإبدال؛ بل هو من قبيل التعويض؛ لأن الإبدال يتطلب قرابة صوتية وهي غير متحققة هنا، فالمحذوف ليست واوا بل هي ضمة، حيث تتابعت ثلاث حركات في الكلمة، فهرب الناطق منها بهمز أول المقطع الثاني في الكلمة كوسيلة للتخفيف من ثقل توالي الحركات الثلاث، فانشطر الصوت المركب وبقيت الفتحة الطويلة على حالها، كما بقيت الكسرة الأخيرة فيها رعاية لتكوين المقطع المهمز، وهو ما يؤكد بطلان دعوى القدامى أن الهمزة بدل من الواو[5].

1- سر صناعة الإعراب،106/2.

2 - الكتاب،331/4.

3- ينظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص. 129

4- ينظر: اللباب،293/2.

5- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص. 5.88

د- إذا وقعت الواو طرفاً بعد ألف زائدة، سواء أكانت الواو أصلية أم زائدة، قُلبت ألفا، ثم أبدلت الألف همزة، ومثال ذلك كلمة (كِساء)، وعلة إبدالها هو تطرفها، وتحركها، فالواو المتحركة مستثقلة، والطرف ضعيف، لذلك جاز إبدالها.

ونصّ ابن جني على ذلك فقال: "فكما قلبت الواو والياء ألفا لتحركهما ووقوعهما بعد الفتحة في نحو: عصا رحى، كذلك قلبتا ألفا . أيضا . لتطرفهما وضعفهما، وكون الألف زائدة قبلهما في نحو كساء"[1]، كما ورد عند الجرجاني (ت. 471هـ) فقال: "أبدلت الهمزة من الواو والياء إذا وقعتا طرفاً بعد ألف زائدة ، في نحو: كِساء ورِداء، أصلهما: كِسَاو ورِدَاي"[2]، وذكر العكبري أن إبدال الواو ألفا، ثم همزة، هو أشبه بالقياس؛ لأن حكم الواو إذا تحركت و انفتح ما قبلها هو قلبها ألفا، ثم حُركت الألف فانقلبت همزة لئلا يُحذف أحد الألفين[3].

وبقليل من التأمل نجد أن تحليل علماء اللغة القدامى لهذا الإبدال ليس دقيقاً، إذ لا يتفق مع التحليل الصوتي الحديث، حيث يرى الدكتور عبدالصبور شاهين أن الذي حذف من أجل الهمزة ليست واواً، وإنما هي ضمة، ويؤيد هذا القول الكتابة الصوتية التحليلية للحركة اللينة، التي بيّنت أن نهاية الكلمة في (كساو) ليست الألف و الواو؛ بل هي (فتحة طويلة + ضمة)، و قد نشأ عن النطق بهما نصف حركة هي الواو التي هي ذات وجود سياقي ولا وجود لها عند التحليل، لذلك حذفت الضمة عند الهمز، وبقيت الحركة الطويلة، والذي دعا العرب لهذا هو كراهتهم للوقوف على المقطع المفتوح، فقاموا بإقفاله، بإحلال الهمزة محل صوت اللين، وهذا ليس من قبيل الإبدال، وإنما من أجل تصحيح نهاية الكلمة [4].

هـ- ومن مواضع إبدال الواو همزة عند اجتماع واوين في أول الكلمة، تُبدل الأولى منهما همزة كما في جمع كلمة واصل، تقول: (أَواصل) أصلها (وَوَاصِل)، و كذلك عند تصغيرها تقول (أُوَيْصل) وأصلها (وُوَيْصل)، قال ابن جني: "...كما همزوا تصغير (واصل) وجمعه في قولهم: (أُوَيْصل) و (أَوَاصل)، وأصله (وُوَيْصل) و(وَوَاصِل) فهمزت الواو الأولى لاجتماع الواوين في أول الكلمة "[5].

1 - سر صناعة الإعراب، 107/1.

2- الجرجاني، المفتاح في الصرف ، ص. 95.

3 - ينظر: اللباب،295/2.

4- ينظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص 81

5- سر صناعة الإعراب، 418/2.

كما ذكر ذلك ابن عصفور . أيضاً . فقال: "الواو لا يخلو من أن تكون ساكنة أو متحرِّكة، فإن كانت متحركة فلا يخلو من أن تكون أولا أو غير أوّل، فإن كانت أوّلًا فلا يخلو أن تكون وحدها، أو ينضاف إليها واو أُخرى، فإن انضاف إليها أُخرى أُبدلت الأُولى همزةً، هروبًا من ثقل الواوين، وذلك نحو قولهم في جمع واصِل: أَواصِلُ، أصله (ووَاصِلُ) فقلبت الواو همزة"[1].

وفسّر علماء التراث ذلك بأن الواو مستثقلة، لكونها خارجة من عضوين، وهي مقدرة بضمتين، وعلى هذا تكون الضمتان مقدرتين بأربع ضمات، وهذا يجعل النطق عسيراً؛ لأن النطق بالحرف بعد حرف مثله شاق على اللسان، وهذا يوجب الإدغام إن كان ممكنا، وهو غير ممكن هنا؛ لأن المدغم الأول يجب أن يكون ساكنا، ولا يمكن تسكين الأول هنا، فلم يكن بداً من الهروب إلى حرف آخر وهو الهمزة[2].

وبالنظر إلى التفسير الصوتي الذي قدّمه العلماء القدامى لهذا الإبدال، نجد أن هذا التفسير لا يمكن التسليم به؛ لأن ما حدث يرجع إلى النموذج النطقي الذي جرى على ألسنة العرب، وهو عدم البدء بحركة، ولمّا توالت الحركات المزدوجة في بداية الكلمة عمد الناطق إلى همز المقطع الأول، تجنبا لوقوع الحركة أولاً في بداية الكلمة فقالوا (أواصل)[3]، فبداية المقطع الأول من الكلمة بحركة مزدوجة فيه صعوبة ومشقة، فكان لازما على العربي تصحيح بداية المقطع وهذا يتحقق بإحلال الهمزة محل الواو في أول المقطع، كوسيلة لتصحيحه لا على سبيل الإبدال.

وهناك حالة أخرى أبدلت فيها الهمزة من صوت الواو شذوذا، وهي الواو المفتوحة في أول الكلمة، إذ أُبدلت همزة في ثلاث كلمات، الأولى كلمة (أحد) في قوله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ الإخْلَاص الآية 1، والعلة في ذلك؛ لأنها من الوَحْدة، ولا يجوز في ذلك في لفظ (أحد) المستخدم للعموم كقولك: ما زرت من أحد، وأمّا الكلمة الثانية فهي (أناةٌ)، و أصلها (وناة) لأنها مشتقة من الوُنْية، والتوني، والكلمة الأخرى هي (أسماء) إذا كانت اسما لامرأة، و أصلها (وَسْماء) من الوسامة، وذكر الأقدمون أن هذا شاذ فلا يُقاس عليه[4].

1- الممتع الكبير في التصريف، ص. 221.

2 - ينظر: سر صناعة الإعراب، 418/2. و اللباب،295/2-296.

3- ينظر: القراءات القرآنية، ص 92. و المنهج الصوتي، ص179.

4- ينظر: اللباب،292/2.

قال ابن السّراج: "فأمّا المفتوحة فليس فيها إبدال وقد شذّ منه شيء قالوا: امرأة أَنَاةٌ، وهي ونَاةٌ من الوَنَى وقالوا: أَحدٌ في (وَحَدٍ) وهذا شاذ "[1]، وقال ابن عصفور عن الواو المفتوحة: "وإنْ كانت مفتوحةً لم تُهمز إِلَّا حيثُ سُمِعَ؛ لأنَّ الفتحة بمنزلة الألف، فكما لا تُستثقَل الألف والواو، في نحو: عاوَدَ، وأمثاله فكذلك لا تُستثقل الواو المفتوحة"[2]، ولمّا كان الإبدال من أشكال المماثلة، والمماثلة بكل أشكالها كي تتم لابد لها من تجانس أو تقارب بين الصوتين، وهذا ما لم يتوفر بين صوت الهمزة وصوت الواو التي تبدل منها، إذ لا تقارب في المخرج، ولا تجانس في الصفات، وهذا واضح مما يلي :

1- الهمزة: صوت حنجري، شديد (انفجاري)، مهموس، مرقق.

2- الواو: صوت شفوي، متوسط، لين (مجهور = انطلاقي).

وبذلك قرر الدكتور عبد الصبور شاهين عدم وجود علاقة صوتية بين الهمزة من ناحية، وبين الواو من ناحية أخرى، إذ لا مجال للقول بإمكان حدوث تبادل بينها طردا وعكسا، سواء أكان إبدالا واجبا، أم جائزا، أم شاذا[3].

ثالثاً : إبدال الهمزة من الياء

ذكر العلماء القدامى أن الهمزة تبدل من الياء في حالتين هما :

أ- إذا وقعت الياء عينا في (فاعل) نحو قولك : بائع، كما أبدلت الهمزة من الياء التي هي لام الكلمة نحو كلمة (قضاء)، وذكر النحاة أن الياء تبدل همزة باطراد، وذلك إذا وقعت بعد الألف التي في الجمع الذي لا نظير له في الآحاد، واشترطوا لذلك أن تكون الياء قد زيدت في المفرد للمدِّ كما في كلمة : صَحِيفة وصَحائف[4].

ويرى الدكتور عبدالصبور أن هذا لا يعد إبدالاً؛ لأن المحذوف من أجل الهمزة ليست ياء؛ بل كسرة وهي الجزء الثاني من صوت اللين المركب من الفتحة الطويلة + الكسرة في (بايع)، حيث تتابعت ثلاث حركات في الكلمة، وهو أمر مستثقل في النطق، مما دعا المتكلم للهروب منها بهمز أول المقطع

1- ابن السراج، الأصول في النحو، 307/3.

2- الممتع الكبير في التصريف، ص .222.

3 - ينظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث:77.

4- ينظر: الممتع الكبير في التصريف، ص. 227. و اللباب، 296/2.

الثاني في الكلمة كوسيلة للتخفيف من ثقل توالي الحركات الثلاث، فانشطر الصوت المركب وبقيت الفتحة على حالها، وحلّت الهمزة محل الكسرة فأصبحت (بائع)[1].

وأمّا إبدال الهمزة من الياء الواقعة بعد الألف في الجمع الذي لا نظير له في الآحاد كما في قولنا (صحيفة، صحائف) فحدث فيها ما حدث في (بائع) إذ كان تتابع الحركات سببا في إحلال الهمزة محل الياء، قال الدكتور عبدالصبور: "وكان الهرب من تتابع الحركات هو السبب . أيضا . في نبر أمثلة المجموعة الثالثة: قلادة و قلائد، وصحيفة وصحائف، وعجوز وعجاوز"[2].

ب- تبدل الهمزة من الياء إذا كانت الياء زائدة للإلحاق، وذلك كما في كلمة (علباء) وكلمة (حرباء) فالعرب عندما أرادوا الإلحاق زادوا الياء؛ لأنها أخف من الواو[3].

وبرهن ابن جني على صحة هذا الرأي فقال: "فإن قيل: ما الدليل على أن الأصل حرباي وعلباي بالياء دون أن يكون علباو، حرباو بالواو؟ فالجواب أن العرب لما أنثت هذا الضرب بالهاء فأظهرت الحرف المنقلب لم تظهره إلا ياء وذلك نحو درحاية ودعكاية، فظهور الياء في المؤنث بالهاء دلالة على أن الهمزة إنما قلبت في حرباء وعلباء عن ياء لا محالة "[4]، كما ذكر ذلك المبرد (ت285هـ)، والشيخ خالد الأزهري، وغيرهما[5].

وخلاصة ما سبق أن الإبدال لا يكون إبدالاً حقاً إلّا إذا كان بين الحرف المبدل والمبدل منه علاقة صوتية كقرب المخرج، أو الاشتراك في بعض الصفات الصوتية كالجهر، والهمس، والشدة، والرخاوة، وهذا ما لم يتوفر بين صوت الهمزة، والحركة الطويلة (الياء) التي تبدل منها، فبينهما تباين تام، وهذا التباين يتجلى فيما يلي[6]:

1- الهمزة: صوت حنجري، شديد (انفجاري)، مهموس، مرقق.
2- الياء: صوت غاري، متوسط، لين (مجهور = انطلاقي).

1- ينظر : القراءات القرآنية، ص.88
2 - المرجع السابق، ص.89 .
3- ينظر: اللباب، 297/2.
4- سر صناعة الإعراب، 99/1.
5- ينظر: المبرد، المقتضب،149/3. و شرح التصريح على التوضيح،693/2.
6- ينظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث:77 -78.

وهنا لا تقارب في المخرج، ولا تجانس في الصفات، ولهذا قرر الدكتور عبدالصبور عدم وجود إبدال بين الهمزة والحركة الطويلة (الياء) وما ذهب إليه القدامى يرجع إلى كراهية ثقل النطق وتنافره مما يدفع الناطق إلى المخالفة أو التصرف بصورة ما، هربا من هذا الذي يكرهه، وذكر أنه يمكن أن يعدَّ ذلك من قبيل التعويض الموقعي الذي تقتضيه وظيفة الصوت في الدلالة [1].

الخاتمة

عدّ علماء اللغة القدامى الهمزة مع أصوات العلة الثلاثة: الألف، والواو، والياء في باب واحد، وذلك بسبب اشتراك الهمزة مع الألف في رمز واحد هو الألف، حيث كانت الألف رمزاً للهمزة في القديم، وكذلك اشتراكها مع الألف في مخرج واحد هو أقصى الحلق، كما تشترك الهمزة عند المتقدمين مع الألف والواو والياء في صفة الجهر، وهذا ما جعلهم يقولون بإبدال الهمزة من أحرف العلة (الألف والواو والياء).

وأما الدكتور عبدالصبور شاهين فأثبتت دراساته الصوتية عدم وجود علاقة صوتية بين الهمزة، وأحرف العلة؛ بل بينهما تعارض تام، وهذا التعارض يتجلى فيما يلي:

1- التباعد في المخارج، فصوت الهمزة صوت صامت يصدر من الحنجرة، أما حروف العلة فهي أصوات تخرج من منطقة الفم.
2- الاختلاف في الصفة، فالهمزة عند المحدثين صوت مهموس، وقيل: لا هو بالمجهور ولا بالمهموس، أما حروف العلة فإنها أصوات مجهورة.
3- تعد الهمزة من الأصوات الانفجارية، أما حروف العلة فهي أصوات انطلاقية.

وما وقع في بعض الكلمات التي حلت فيها الهمزة محل أصوات العلة، هو ليس من قبيل الإبدال كما عدّه المتقدمون؛ بل ذلك يرجع إلى بعض الكراهات التي لم يألفها العربي في كلامه منها :

1- كراهة العرب للوقوف على مقطع مفتوح، وهو حقيقة مقررة في كلام القدامى.
2- كراهة النطق بمقاطع مفتوحة متوالية، وهو أمر دعاهم إلى إقفال هذه المقاطع بالهمز.
3- كراهة توالي الحركات الكثيرة في الكلام، وهو أمر يضعف النظام المقطعي، ويسبب ثقل في النطق، فخففوها بالهمز.

1- ينظر : المرجع السابق،ص.78 وما بعدها.

وعلى هذا فإن القول: بوقوع إبدال الهمزة من أحرف العلة (الألف والواو والياء) قول لا تؤيده الحقيقة الصوتية، فحروف العلة هي أصوات انطلاقية تخرج من منطقة الفم بعيداً عن الحنجرة والحلق واللهاة، وتتصف بصفة الجهر، وتعد أعلى الأصوات إسماعاً، في حين نجد أن الهمزة صوت صامت غير مجهور، يصدر من الحنجرة، ويعد من أخفض الأصوات إسماعا.

المصادر والمراجع

1. ابن السراج (أبوبكر)، الأصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط. الثالثة، 1988م.
2. ابن جني، (أبوالفتح عثمان)سر صناعة الإعراب، تح : حسن هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت– ط. الثانية،1993م.
3. ابن الحاجب (عثمان بن عمر) أمالي ابن الحاجب، تح : فخر صالح قدارة، دار عمار – الأردن، دار الجيل – بيروت، 1989م.
4. ابن سينا،(أبوعلى الحسين) أسباب حدوث الحروف، تح : محمد الطيّان، و يحيى علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.
5. ابن عصفور(علي بن مؤمن)، المقرب، تحقيق: أحمد عبدالستار، و عبد الله الجبوري، ط.الأولى، سنة 1972م.
6. ابن عصفور(علي بن مؤمن)، الممتع الكبير في التصريف، تح : فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، ط. الأولى 1996م.
7. ابن فارس(أبو الحسن أحمد)، الصاحبي في فقه اللغة العربية، ط. الأولى، 1997م.
8. ابن مالك،(أبو عبد الله محمد جمال الدين) ألفية ابن مالك، دار التعاون، ط. بلا.
9. ابن مالك،(أبو عبد الله محمد جمال الدين) إيجاز التعريف في علم التصريف، تح: محمد المهدي، من منشورات عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط. الأولى، 2002م.
10. ابن منظور(جمال الدين بن محمد)، لسان العرب، دار صادر – بيروت، ط. الأولى
11. الأزهري (خالد)، شرح التصريح على التوضيح، دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان، ط. الأولى،2000م.
12. الإستراباذي (رضي الدين)، شرح شافية ابن الحاجب، تح: محمد محي الدين وآخرين، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان 1975م.
13. أنيس (إبراهيم)، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر.
14. بشر (كمال) ، علم اللغة العام الأصوات العربية، مكتبة الشباب، مصر.
15. الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر) المفتاح في الصرف، تحقيق: توفيق الحَمَد، ط.الأولى ، مؤسسة الرسالة – بيروت، سنة 1987م.
16. حسّان (تمام)، مناهج البحث في اللغة، دار عالم الكتب، ط. الخامسة، 2006م.
17. الزمخشري (أبو القاسم)، المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق: علي بوملحم، ط. الأولى، مكتبة الهلال بيروت،1993م.
18. سيبويه،(عمرو بن عثمان) الكتاب، تح : عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ط. الثالثة، 1988م.
19. السيوطي (جلال الدين)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية – بيروت، ط. 1، 1998م.

20. شاهين (عبد الصبور) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1987م.
21. شاهين (عبدالصبور) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي.
22. شاهين (عبدالصبور) المنهج الصوتي للبنية العربية، مؤسسة الرسالة، بيروت, 1980م.
23. عبد التواب (رمضان) المدخل إلى علم اللغة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط. الثالثة، 1997م.
24. عبدالتواب(رمضان)، مشكلة الهمزة العربية، مكتبة الخانجي، ط. الأولى 1996م.
25. العكبري (أبو البقاء عبدالله)، اللباب في علل البناء والإعراب، تح: عبد الإله النبهان، دار الفكر – دمشق، ط. الأولى،1995م.
26. الفراهيدي (الخليل بن أحمد)، العين، تح: مهدي المخزومي، و إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
27. اللغوي (أبو الطيب عبدالواحد بن علي)، كتاب الإبدال، تح: عزالدين تنوخي، مطبوعات المجمع العلمي، دمشق، 1960م.
28. المبرد(أبو العباس) المقتضب، تح : محمد عبد الخالق عظيمة دار عالم الكتب. – بيروت .

Replacing the Hamza from the Vowels Among the Applicants and Abdel Sabour Shaheen Analytical Study

Noureddine AMhamed Mohamed Sahl

Faculty of Languages. El-Mergib University

nesahl@elmergib.edu.ly

Suhail Ibrahim Ahmed Abu Ghalia

Faculty of Education El-Mergib University

siabogalia@elmergib.edu.ly

Abstract

Substitution is considered one of the traditions of the Arabs in their speech, and it is changing a letter with another letter due to a relationship between them in the noun or in the adjective, where the substituted is removed from it, and the substituted is replaced in its place. It is similar to the accusative except that the two silent sounds. As for the pronouncement, it only occurs between two vowels.

This research is concerned with studying the substitution of the sound (hamza) from the vowels (alif, waw, and ya), which is a topic that has received the attention of linguists in the past and present, as the connection of the hamza with the vowels appeared in the old lesson, and this was due to the hamza sharing with the alif one symbol which is (alif), which made grammarians put it with the vowels in one times similar to a vowel, and this led to the permissibility of substituting it from these three letters. As for Dr. Abdul Sabour Shaheen (d. 2012) and the modernists, they considered substitution as a form of similarity, and similarity in all its forms in order for it to be complete, there must be homogeneity or similarity between the two sounds, and this is what was not available between the sound of the hamza and the vowels, as there is no similarity in the place of articulation, nor homogeneity in the characteristics.

Keywords: Abdal, tha Hamza, vowels, Abdel Sabour Shaheen